الفصل الثالث

مظاهر النظام السياسي في الحبشة

1- ألقاب الإمبراطور .
2- مراسم تتويج الإمبراطور .
3- ملابس الإمبراطور .
4- شارات الإمبراطور الحبشي .
5- مراسم الاستقبال والهدايا وإرسال الرسل .

أما عن مظاهر النظام السياسي في الحبشة فى الفترة التى تتناولها الدراسة الحالية فسنتناول منها العديد من العناصر، وذلك على النحو التالي:-

1- ألقاب الإمبراطور:

اللقب عزيز دائمًا، والحفاظ عليه جزء من شرف المملكة، ولذلك حرص أباطرة الأسرة السليمانية على التلقُّب بالعديد من الألقاب الدينية والدنيوية إلى جانب أسمائهم الأصلية، حتى أصبح من المظاهر الرسمية في ذلك العصر الإكثار من الألقاب للأباطرة.

فقد كانت تقوم العادة على اختيار اسم للإمبراطور مستوحي من الديانة النصرانية، إذ يقوم الإمبراطور باختيار هذه الأسماء على ثلاث عصي يسمونه من خلالها باسمه الجديد، وهي عادة ما تكون أسماء دينية لأحد الأنبياء أو أشهر القديسين التي تدل على التمجيد والشرف، وعندئذ يختار الإمبراطور أحدها لتخرج بأحد الأسماء التي تطلق عليه على الدوام[1]، وهكذا تمتع الإمبراطور الحبشي في العصر الثاني من عصر الأسرة السليمانية بحقه الديني في مملكته والمقاطعات التابعة له، فكان اسمه ولقبه الديني يذكر دائمًا في المناسبات المختلفة وبخاصة المناسبات الدينية مع المطران الذي ظن هو الآخر أن حكمه مستمد من الله تعالى وأنه ظل الله في أرضه[2].

وتشير المصادر الحبشية في تلك الفترة إلى أن الإمبراطور (زرء يعقوب) كان يلقب بـ(قنسطنطين الأول)[3]، أما خليفته (بئيد ماريام 873-883هـ/1468-1478م)

فكان لقبه "داود"[1]، كما لقب الإمبراطور (إسكندر) بـ(قنسطنين الثاني 883-898هـ/1478-1492م)،

---

1 - Stuart C. Munro Hay,: op, cit , p.54.

2- Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam,p.124.

3 - Ibid, p.2 see also Trimingham , op, cit, p. 65.

أما الإمبراطور (داود الثاني) فقد خرجت القرعة الخاصة به باسم (لبنا دنجل 964-947هـ/1508-1541م) أي بخور العذراء[2].

وإضافة إلى هذه الألقاب الدينية، أطلق أباطرة الحبشة على أنفسهم ألقابًا عامة، ففي العصور القديمة ساد لقب النجاشي أو نجاشي النجاشية، كما لقب أيضًا بملك ملوك الحبشة[3]، وفي العصور الوسطى أخذ الإمبراطور لقب الحطي[4]، كما أطلق البرتغاليون على الأباطرة اسم "القديس جون"[5]، إلا أن اللقب الذي اشتهر به الأباطرة عامة هو "الأسد الخارج من سبط يهوذا - المختار من الله"[6]. وهكذا اتخذ كل إمبراطور اسمين، أحدهما اسمه الأصلي الذي كان يسمى به قبل أن يصبح إمبراطورًا، واسمًا آخر دينيًا بعد أن يتولى مهام منصبه يتم اختياره عن طريق القرعة.

1- اختار (بئيد ماريام) ثلاثة أسماء عند إجراء القرعة كباقي الأباطرة وهي "جبرا مسقال - أي خادم الصليب، وداود، وقنسطنين، ولكن القرعة اختارت اسم داود فأصبح المقلب بداود". انظر:

- Perruchon: op, cit,p.124.

2 - Manfred Kropp: Die Geschichte Des Lebna-Dengel, Claudius Und Minas, Scriptores Aethiopoci, Tomus 84, Vol 83,84, Lovanii in Aedibus E. Peeters, 1988.P.1.

3 - لقب ملك الملوك: هو اللقب التقليدي الذي أطلق علي حاكم بلاد الحبشة منذ أقدم العصور التاريخية إذ أن أول من استخدمه هو (سميروتيس) Smerotis، ويعود تاريخ هذا اللقب إلى بلاد ما بين النهرين قديمًا، ولكن تم استخدامه في أكسوم منذ عام 250 ميلادية تقريبًا، وقد أطلق عليه لفظ ملك الملوك نظرًا لأنه يحكم العديد من المقاطعات التي على رأس كل منها ملك، فهو إذن ملك الملوك، وقد وجد العديد من الكتاب الأجانب أن هذا اللفظ غير مألوف، لذلك أطلقوا عليه لفظ "إمبراطور" وقد شاع استخدام هذا اللفظ في بلاد الحبشة حتى عام 1974م عندما تم إلغاء النظام الملكي. للمزيد انظر فوزي عبد الرازق مكاوي، المرجع السابق، ص 185، القلقشندي، المصدر السابق،ج4، ص322، ابن خرداذبة، المصدر السابق، ج1، ص4، مجدي عبد الرازق سليمان، المرجع السابق، ص ب.

4- القلقشندي: المصدر السابق، جـ5، ص 322، المقريزي، الإلمام، ص 2

5- Almeida: Some Records of Ethiopia 1593-1646, pp.3-4.

6- Elaine Murray Stone: op, cit,p.38.

2- مراسم تتويج الإمبراطور:

إذا ما اعتلى الإمبراطور العرش بعد تأييده من قِبَل كبار رجال البلاط الملكي والجيش أو اختياره عن طريق "مجلس الأوصياء". كان عليه أن يذهب إلى كنيسة الملاك ميخائيل أو القديس جورجيس في أكسوم ليكمل هناك إجراء مراسم التتويج بواسطة المطران المصري، حتى يتمتع بحقوقه الشرعية في حكم البلاد. وربما نسطيع القول إن حرص أباطرة هذه الفترة على هذا التقليد لتأكيد أحقيتهم في العرش استنادًا إلى أساس ديني، ما يجعل قيام منافس لهم أمرًا مستحيلًا[1]. ولعلنا استنادًا إلى هذه الحقيقة نسطيع أن نفهم السر الذي من أجله تشدد هؤلاء الأباطرة في استدعاء المطران المصري والمكانة العظيمة التي تمتع بها المطارنة المصريون في نفوس الأباطرة وجميع طوائف الشعب الحبشي[2].

وتطلق المصادر الحبشية على هذا التتويج اسم "شرعت قرحت" أو شريعة التنصيب، كما تؤكد أيضًا على حرص الأباطرة على تأدية هذه الشريعة في أكسوم[3]: إذ يتم استقبال الإمبراطور بحفاوة بالغة من قبل أهل المدينة وكبار رجال الدين وفرق الجند - التابعين لمقاطعة تجري -

---

1 - زاهر رياض: العصر الأول من الأسرة السليمانية، ص 89. انظر أيضًا:
- Taddesse Tamrat: Hagiographies and the Reconstruction, p.141.

2 -عند موافقة بلاط القاهرة على إرسال المطران المصري إلى الحبشة، كان الشعب الحبشي يفرح فرحًا لا يوصف إذ يستقبله الشعب والأكليروس والإمبراطور بكل مظاهر الترحاب وينثرون فوقه الذهب الكثير وتسلم له ممتلكات الكنيسة وتفتح له خزائن المطرانية بما فيها من ذهب وفضة وثياب وكتب وقمح وحبوب، ويرسل له الإمبراطور وكذلك الأمراء خيلًا كثيرة وبغالًا وخدمًا لخدمته كما يرسل له الكثير من العبيد". للمزيد انظر القلقشندي، المصدر السابق، جـ5، ص 308، عرب فقيه، المصدر السابق، ص 153.

3 - اضطر الإمبراطور (بئيد ماريام) إلى إجراء مراسم التنصيب الخاصة به في أرض دجنو، نظرًا لظروف الحرب مع مسلمي عدل". انظر:
- Perruchon: op, cit, p.124

ممتطين خيولهم، وممسكين بالقوس والسهم، فضلًا عن النساء اللاتى كن يرقصن كل منهن منفردة، وعند دخوله إلى أكسوم يقف كل من حاكم تجري وحاكم أكسوم عن اليمين واليسار يمنعان الناس عنه وممسكين بأغصان الزيتون - لأنه هكذا في سنتهم - وعندما تطأ قدماه أرض القصر يفرش له بساط من نوع خاص به، وعليه أن يقدم للقصر – كغيره من الملوك السابقين - الكثير من الذهب الذي ينثره على عتبته[1].

أما عن طبيعة هذه المراسم فهي أن يجلس الإمبراطور على الكرسي المعد له، وهذا الكرسي هو مكان التنصيب، وهناك كرسي آخر يتبارك به الإمبراطور، كما يجلس المطران بجواره على كرسي ثالث، حيث يكون بجواره مائدة كبيرة عليها ملابس التتويج وهي درع محلى بالجواهر وصولجان وكرة وكلهم من ذهب، وخاتم ثمين من اللألماس، وحربتان لهما سن من ذهب، وحلة ملكية وتاج ذهبي، إضافة إلى الكتاب المقدس. يذكر أنه كان يوجد اثنا عشر كرسيًّا آخر هي للقضاة الاثني عشر الذين حرص الأباطرة على حضورهم المراسم[2].

ويبدأ الاحتفال بكلمة يلقيها المطران أولًا يؤكد فيها تزكيته للإمبراطور وأنه على كبار رجال المملكة وجميع طوائف الشعب السمع له والطاعة، ثم يتقدم المطران ويرفع الكتاب المقدس ويدعو للإمبراطور ويتوعد من يخالفون أوامره بغضب من الله، لأنه واجب على كل حبشي طاعته والامتثال لأوامره ودفع الضرائب المستحقة عليه لا خوفًا من العقاب بل طاعة لحكم الله[3].

---

1 - "وفيما بعد، وحين دخل الملك قصر أكسوم، أحضر كثيرًا من الذهب، ونثره على عتبته فوق البساط الوماكي، الذي فرش كي يسير فوقه، أما عدد هذا الذهب فمائة جزء... وهذا الذي فعله الملك من أجل مجد صهيون". والبساط الوماكي هو نوع من الصوف. للمزيد انظر:

- Ibid, p.50.

2 - Bruce: op.,cit., p.15.

3 - يوسف جرجس: الرحلة البطريركية إلى الإمبراطورية الإثيوبية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1930م، ص 61.

ثم يقوم حاكم أكسوم بحمل ملابس التتويج ويسلمها إلى المطران ليباركها ويبدأ بإلباسها للإمبراطور ثم يصب القليل من الزيت المقدس على رأس الإمبراطور[1] حتى يجيء دور التاج فيرفعه المطران بين يديه وهو يقول: "ندعوك يا الله. يا من وضعنا فيك كل ثقتنا. أن تبارك هذا التاج وتبارك حامله الإمبراطور - فلان - كي يكون أهلًا لحمله"، ثم يقترب من الإمبراطور ويضعه بيديه على رأسه وهو يقول: "ليجعل الله هذا التاج تاج قداسة ومجد"[2].

وبعد أن تتم مراسم التتويج يجدد الإمبراطور كل شرائع الكنائس في أكسوم ويهبها المنح والهدايا، ويعين لها مرشدين، ثم يخرج كبار رجال البلاط وحكام المقاطعات والنبلاء، ويقرعون الطبول لإعلان الخبر الجديد، فيصيح الشعب فرحًا ويلعب الفرسان والجنود بأسلحتهم، ويحمل الخبر إلى بقية المقاطعات بطريقة غير منظمة، ثم يعود الإمبراطور مرة أخرى إلى قصره، بعد أن يكون قد اكتسب صفة القداسة، وضمن خضوع الشعب له[3].

3- ملابس الإمبراطور:

كان للإمبراطور الحبشي ملابس مختلفة يرتديها في كافة المناسبات، فلكل مناسبة رداء خاص بها، فقد كان له رداء خاص عند إجراء مراسم

---

1 -يشير بعض الباحثين إلى أن هذا الزيت المقدس هو في حقيقة الأمر أحد أهم علامات التتويج، كما يشير البعض الآخر إلى وجوب دهن جسم الإمبراطور بدهن الملك، وتشير المصادر الحبشية في عهد الزغاوة إلى أن أول من دهن بهذا الدهن هو (إيو أس الأول) ولم يتبعه في ذلك من الملوك الذين تلوه سوى (زرء يعقوب)، كما تشير أيضًا إلى أن الملك الذي يدهن بالدهن الملكي يدعى عرشه بعرش داود وفقًا لما قرره علماء اللاهوت البارزون في كاتدرائية أكسوم، وأنه من عصر ابن الحكيم بن النبي سليمان حتى عصر (زرء يعقوب) أهملت هذه العادة". للمزيد انظر:

-Huntingford: The Wealth of Kings, pp.6-8. see also Steven Kaplan," Iyasus Mo،a and Takla Haymanot,pp. 54-56.

2- Perruchon: Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, pp.49-51.

3 - Ibid, p.51. see also Jones and Monroe , op , cit , pp.50-51.

تنصيبه، ورداء عند مروره بأي من المقاطعات في الموكب الإمبراطوري، كما كان له رداء خاص عند خروجه إلى الحروب، على أن أهم الملابس كانت تلك التي كان يرتديها الأباطرة عند لقائهم بالناس وجلوسهم على العرش، فقد كانوا يرتدون المعاطف الحريرية ذات المشابك الذهبية، وعلى رؤسهم التاج الذهبي، كما استرسلت شعورهم على أكتافهم في ضفائر كبيرة، كما كانوا يضعون حول أكتافهم قطعًا من جلود الأسود لزيادة هيبتهم، وتحلوا بالعقود والأساور[1] إذ كانت هذه الملابس تصنع عادة من الحرير الوارد إليهم من اليمن[2]، وقد شهد الحيمي على ذلك عندما زار الحبشة فوصف بلاط الملك: (فقد تهيئوا بأعظم أبهة حيث لبسوا مطارح الديباج... وجعلوا في أواسطهم مناطق الذهب المحلاة بالفصوص الفاخرة ونفيس الجواهر... وأخذوا في أيديهم السيوف السنارية المحلاة كذلك بعين الذهب الخالصة، ورؤسهم مكشوفة عن الشعر الجعيد الناعم، وفي أيديهم أساور الذهب وفي آذانهم الأقراط المتلألئة كاشتعال اللهب)[3].

4- شارات الإمبراطور الحبشي:

أ- التاج الذهبي:

يعد التاج الذهبي من أهم شارات الإمبراطور الحبشي، وهو ما يوضع على الرأس، وبه يتوج الإمبراطور نفسه، وهو دلالة على أعلى درجات المجد والفخر، ويتزين به في الأعياد الرسمية والمناسبات المختلفة وفي المواكب، و يتكون التاج من الذهب كما تحف به فصوص من المجوهرات والأحجار الكريمة، يذكر أن حكام المقاطعات سمح لهم بالتتويج بمثل هذا التاج لكنه كان مصنوعًا من الفضة[4].

---

1 - Richard Pankhurst: op,cit,p.76 see also Richard Reush (D.D):History Of East Africa , London,1954,p. 64.

2 - العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، جـ4، ص39.

3 -الحيمي: المصدر السابق، ص ص 29-30.

4-Ludovico di Varthema: The Travels of Ludovico di Varthema, 1863, p. 165 see also Bruce:op.,cit., p.92.

ب- جنود الخدمة:

للإمبراطور الحبشي جنود يرافقونه دائمًا وكانوا مقسمين إلى فرق عدة، وكان منهم من يرابط في القصر، ومنهم من يخرج معه في جولاته التفتيشية، ومنهم من يمهد له الطريق قبل الخروج، وقد أطلقت على بعض هذه الفرق أسماء الأباطرة أنفسهم، وكان الإمبراطور يمنحهم إقطاعًا للإنفاق منه على معيشتهم، يذكر أنه أثناء مرور الإمبراطور بأي من المدن كان على حكامها نفقات هذه الفرق وطعام خيولهم، كما يضم إقطاع كل قرية وضواحيها منازل واقعة على الطريق ليتزود منها الموكب من المؤن المختلفة [1].

ج- الخيمة الإمبراطورية:

تعد الخيمة من أهم شارات الإمبراطور الحبشي فهي مساوية تمامًا لقصر الإمبراطور في دبر برهان في الأهمية، لأنها تدل على مظاهر حكمه وسيطرته على البلاد[2]، وكانت هذه الخيمة بيضاء اللون تميزًا لها عن سائر الخيم الأخرى، وهي خيمة كبيرة الحجم عالية الارتفاع ليدخل إليها الإمبراطور محمولًا على فرسه، وقد أقيم سور حول هذه الخيمة من جهتي اليمين واليسار، وسور آخر يربط بينها وبين أقرب كنيسة ليمنع رؤية الناس للإمبراطور حين يدخل أو يخرج لتقديم شريعة القربان، لذا لا يترك شيئًا مثقوبًا فيها حتى لا تنظر أعين الناس من خلاله[3]. وكانت هذه الخيمة تنقل بسفر الإمبراطور سواء للجولات التنفتشية إلى المقاطعات المختلفة أو في حالة حروبه، وتعد هذه العادة قبلية تتفق وتقاليد الأحباش البدوية[4].

---

1 -Donald Crummey: Land and Society in the Christian Kingdom of Ethiopia, university of Illino, press, 2000,p.26.

2- Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, p.26.

3 - Ibid, pp.26-27.

4- Richard Pankhurst: History of Ethiopian Towns From The Middle Ages to The Early Ninteenth Century, Wiesbaden,F.S.V.GMBM,1982,p.35.

د- خيام النساء:

جعل أباطرة هذه الفترة دور النساء في مكان خاص بهن في قصر دبر برهان، كما جعلوا لهن خيامًا بجوار خيامهم في الموكب الإمبراطوري، وإذا كان للأباطرة غلمان وعبيد وخدم خاص بهم، فإن خيام النساء (الملكات) كانت تكتظ أيضًا بالعبيد الخصيان والجواري[1].

هـ- العلم الحبشي:-

ومن شارات المملكة الحبشية أيضًا العلم الحبشي، ورغم أن الأعلام الخاصة بالمقاطعات المختلفة كانت تماثل العلم الخاص بالمملكة الحبشية من ناحية الشكل، كما اشتركت جميعًا في كونها مطرزة بعلامة الأسد (الخارج من سبط يهوذا)، إلا أنها كانت تحمل علامة خاصة تميز هوية المقاطعة الخاصة بها، كما أنها لم تحافظ على لون معين لهذا الأسد[2]، فبعضها استخدم اللون الأبيض، والبعض الآخر استخدم اللون الأحمر، وفريق ثالث استخدم اللون الأصفر. وتجدر الإشارة أنه غالبًا ما كانت تعلو هذه الأعلام كرة بيضاء مفرغة من الذهب يعلوها صليب ذهبي[3].

و- البوق والطبول:

وللإمبراطور بوق وطبول خاصة به، تدق له في وقت خروجه من القصر أو الدخول إليه[4] كما استخدم البوق وقرع الطبول عندما يريد الإمبراطور أن يجمع رجال الدين أو أفراد الشعب لإعطاء أوامر

---

1 - Perruchon: op.,cit., pp.22-26.

2 - زاهر رياض: الفرسان والفروسية في إثيوبيا، مجلة كلية الآداب- جامعة القاهرة، 1951م،ص288.

3 - Alvarez: op.cit., p.135.

4 -Perruchon:Les chroniques de Zar'a ya'eqobe et de Bae'da Maryam, p.19.

معينة[1]. كما استخدمته بعض الفرق العسكرية تحت إشراف البالامبارس عند زيارة الإمبراطور لأي من المقاطعات المختلفة لتعريف الناس بقدوم الإمبراطور[2]. كما كان يتم الضرب على هذه الطبول والنفخ في البوق عند الخروج إلى الحرب[3].

ز- الخاتم والتوقيع:

ومن رموز وشارات المملكة الحبشية الخاتم الحبشي، وكان (الصحافي تنزاز)[4]. هو من يحمل هذا الخاتم في ذلك العصر، وكان لكل إمبراطور حبشي ختم وتوقيع خاص به، يوقع به على المراسلات والمكاتبات، إذ أنهم اعتادوا على اتخاذ الأسماء والعبارات الدينية رمزًا لتوقيعهم[5].

ح- الخزانة السلطانية:-

وفي القصر الحبشي توجد الخزانة الخاصة بالإمبراطور، وكان للأباطرة خزانتان، خزانة الإنفاق، وخزانة الاحتياطي، وكانت الأولى توضع في خيمة كبيرة تسمى "نازريت بيت"، وتحوي المال الكثير، وينفق منها على الإمبراطور وحاشيته ونفقاته الخاصة والعامة، أما الثانية فتسمى "منجشت بيت"، وهي تحوي الفائض من المال مما لا يحتاج إليه أو يخزن للطوارئ، و ينفق منها أيضًا على تجارة الإمبراطور[6].

---

1 - " وفيما بعد نفخ في البوق، فتجمع الكثير من الرهبان والكهنة، فأمرهم أن يؤدوا قسمًا، الكل بكنائسه، بأن يقدموا الكثير من البخور، ويهبوا ملابس للفقراء والمساكين". انظر:

-- Perruchon: op, cit, p.19.

2 - عندئذ يعبر هؤلاء نافخين الأبواق، وضاربين الطبل ويقفون خارج أبواب الكنيسة، ولا يدخلون إلى الداخل". انظر:

-Perruchon: op.,cit., pp.35-37 see also Salt: op, cit, p.439.

3 - Ibid, p.61.

4 - محمد خليفة حسن: المرجع السابق، ص 373.

5 - مراد كامل: في بلاد النجاشي، دار المعارف، القاهرة، 1949م، ص 101.

6 - وفيما بين السور ينصبون نازريت بيت (خيمة كبيرة) مقسمة على ثلاثين ترشما (خيمة صغيرة) أو ما يزيد، ومثلها في ناحية اليمين، وناحية اليسار. ويحضرون فيها كل

5 - مراسم الاستقبال والهدايا وإرسال الرسل:

استقبل البلاط الملكي في الحبشة الرسل القادمين من الدول الغريبة عنهم، وفي نفس الوقت خرج منه الرسل حاملين معهم الرسائل إلى حكام هذه الدول، وباستثناء دولة المماليك في القاهرة، فقد كانت وسائل اتصال الحبشة بالبلاد الأجنبية بسيطة، إذ لم يكن للبلاط الحبشي أية دراية بالسفارات أو الكتابة إلى ملوك وسلاطين الدول الخارجية، خاصة وأن الحبشة في تلك الفترة كانت ترتبط بعلاقات محدودة بالدول الخارجية نتيجة جهلهم بها، وعزلة بلادهم عن العالم الخارجي[1].

ولقد سار أباطرة الحبشة على عدة تقاليد وأنظمة معقدة - إلى حد ما - في استقبال هؤلاء الرسل، ومن هذه التقاليد وضع عيون وحراس على الطرق الرئيسة المعروفة، وكانت مهمة هؤلاء الحرس - إلى جانب استقبال الرسل - أن يعرفوا عنهم كل شيء، ولا يُعَرِّفُوْنَهُم أي شيء، وفي الوقت نفسه يبعثون فارسًا إلى الإمبراطور يسبق أعضاء السفارة ليخبر الإمبراطور عمن يكون القادم؟ ومن أين أقبل؟ وكم معه من الفرسان والمشاة؟ ومعداته وخدامه وحشمه؟ وآلاتهم؟ وذلك حتى يكون الإمبراطور على دراية تامة بهذه السفارة قبيل قدومها إليه[2].

كذلك كان من التقاليد الحبشية التي يجب أن يتبعها الرسل القادمون، عدم التحدث مع أي شخص موجود داخل البلاد - سواء أكان من أهل البلاد أو أجنبيًّا مقيمًا - إلا بعد أن يمتثل أعضاء السفارة أمام الإمبراطور، فعندما جاءت السفارة البرتغالية إلى الحبشة وهي في طريقها لمقابلة الإمبراطور لبنا دنجل تحدث أحد أعضائها مع أحد

الضرائب التي جاءت من أرض إثيوبيا: آنية جيدة مما يحتاج إليه، أما ما لا يحتاج إليه ففي منجشت بيت (المخزن الملكي)، وبركت بيت (بيت الهدايا). انظر:

- Perruchon: op.,cit., p.37.

1-K.Ingham: Foreign Relation Of African States, Butterworths ,London,1974,p.36 see also Bruce: op, cit, p. 56.

2 - Alvarez: op. cit.p. 96.

البحارة البرتغاليين كان موجودًا في الحبشة من قبل، وهنا هب الراهب المصاحب للسفارة باعتقال هذا البحار، فاحتج رئيس السفارة وقام بإطلاق سراحه بالقوة، عندئذ شرح لهم الراهب أن ذلك يتنافى مع تقاليد المملكة الحبشية[1]. كما كان على أعضاء السفارات القادمة احترام الكنائس الحبشية والحرص على كرامتها، وهو ما جعل الأحباش ينفرون من بعض العادات البرتغالية مثل البصق أو التغسل في الكنيسة، تلك العادة التي عدَّها الأحباش تحقيرًا لبيت الله وإهدارًا لكرامته[2].

أما عن أنظمة البلاط الحبشي في استقبال السفراء في العصر الثاني، فقد كان على أعضاء السفارة أن ينتظروا عدة أسابيع قبيل مقابلة الإمبراطور، إلى أن يتم استدعائهم إلى البلاط، و يكون ذلك ليلًا ويدخل أعضاء السفارة بين رجال البلاط والمقاتلين الذين يقفون بسيوفهم ويحملون الشموع، ويظل الإمبراطور محتجبًا من وراء الستائر، ثم يطلب من أعضاء السفارة ما يريده عن طريق مسؤولين في بلاطه، وأول هذه المطالب أن يظهروا براعتهم في المبارزة بالسيف، وبعد شهر كامل من المحادثات كان من الممكن أن يظهر الإمبراطور علانية أمام أعضاء السفارة[3]. ويستقبلهم جالسًا على كرسيه في صدر القاعة، إلا إذا أراد احترام القادم لعظم مقامه أو مقام مرسله نزل عن كرسيه وجلس على الأرض وكان هذا أكبر ما يستطيع أن يقدمه تحية للماثل بين يديه الذي لا يجلس في حضرته إلا إذا أذن له[4].

---

1 - Alvarez: Narrative Of The Portuguese Embassy To Abyssinia during the years 1520-1527, Translated From the Portuguese and Edited by Lord Stanly of Alder ley, New York,1970, p. 163.

2- Harrison Smith, R.N: Through Abyssinia an Envoy's Ride to the King of Zion, New York, 1973, p.36 see also Alvarez, The Prester John of the Indies, p. 235.

3 - ريتشارد هول: إمبراطوريات الرياح الموسمية، ترجمة كامل يوسف حسين، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 1999م، ص 330.

4 - المقريزي: الإلمام، ص 2.

وإذا كانت الفترة التي يقضيها أعضاء السفارة قبل مقابلة الإمبراطور تستغرق عدة أسابيع، فإن فترة بقائهم فى البلاد بعد مقابلته قد تستغرق عدة سنوات، بل قد تتجاوز للإقامة الدائمة فيها، فيذكر التاريخ أن (بدور دي كوفيلهام Pero De Covillham)[1] السفير البرتغالي الذي زار الحبشة عام895هـ/1490م وبعد أن نجح في مقابلة الإمبراطور (إسكندر)، عرض عليه الأخير البقاء في الحبشة وزوجه وأغراه بالمال والضياع، لكنه لم يعبأ بهذا كله، وأخذ الإمبراطور يماطله بشتى الطرق حتى مات الإمبراطور، وخلفه على العرش الإمبراطور (ناؤود 900-914هـ/1494-1508م) الذي لم يسمح له أيضًا بالعودة حتى أصبح أحد أهم المستشارين السياسين للملكة (إيليني) عندما كانت تقوم بدور الوصاية على الإمبراطور (لبنا دنجل)، وقد قام (دي كوفيلهام) بدور كبير في إقناع الملكة بمخاطبة البرتغالين لطلب المساعدة في حروبها ضد المسلمين. يذكر أن سفارة الأب (ألفاريز) عندما جاءت إلى الحبشة لم يسمح لها بالرحيل إلا بعد أن تركت عضوين من أعضائها[2].

على أن أهم سمات نظام البلاط الحبشي هو احتقاره للهدايا البسيطة القادمة مع السفراء، واحترامه للهدايا الثمينة التي يقدمها الغريب، فقد كان الإمبراطور يقدم التحية أو يقف للقادم عليه بما يتناسب وحجم الهدايا التي يحضرها الرسول، فنلاحظ أن (لبنا دنجل)

---

1 - أعجب الأب ألفاريز بكوفيلهام جدًّا وقال عنه: "إنه رجل يعرف كل اللغات التي يمكن الحديث بها، سواء أكانت لغات المسيحيين أم المسلمين أم الأحباش الوثنيين، وهو يعرف كل ما أرسل (من قبل الملك) لمعرفته، وهو يتحدث عن هذه الأمور كأنها ماثلة أمامه) وكان إعجاب ألفاريز بكوفيلهام بلا حدود (فلم يكن له نظير) في بلاط الراهب يوحنا، ويرجع ذلك إلى أنه أدى دورًا بارزًا في السياسة الحبشية، فيشير العديد من المؤرخين إلى أنه أشار على الإمبراطورة هيلانة بالاتجاه إلى البرتغال لإنقاذ بلادها من التهديد الإسلامي، بل هو الذي أملى بعض أجزاء رسالتها إلى ملك البرتغال. انظر ريتشارد هول، المرجع السابق، ص211.

2 - السيد فؤاد شكر الله: لبنا دنجل إمبراطور إثيوبيا، دبلوم غير منشور بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة، 1961م، ص ص83-86.

استقبل رسل البرتغاليين بجفاء عندما علم بقلة حجم هداياهم، لذلك كان هذا الجهل من قبل البرتغاليين يعد إحراجًا لأعضاء البعثة، وهو ما حدث لأعضاء سفارة البرتغال حينما أفحمهم الإمبراطور في حضرته بسبب هداياهم التي لا تليق به، إذ كانت هذه الهدايا تتألف من سيف من ذهب ذي مقبض قيم، وأربع قطع من القماش، وبعض الدروع القيمة، وخوذة مذهبة، ومدفعين صغيرين، وأربع خزائن بنادق، وبرميلين من البارود، وخريطة للعالم، وعدة براميل من الفلفل والتوابل، يذكر أن الإمبراطور أقام احتفالًا أعلن فيه رئيس القضاة هذه الهدايا على الملأ والجهة المقدمة منها، ثم أعلن أن الإمبراطور أمر بتوزيع الملابس والتوابل على الكنائس والفقراء، في إشارة إلى أن الإمبراطور لم تعجبه هذه الهدايا[1].

وعلى الجانب المقابل فإن المراجع لم تذكر حجم أو عدد الهدايا التي كان يرسلها البلاط الحبشي مع سفرائه إلى تلك الدول الخارجية -اللهم إلا فيما اختص بمصر فقط إذ كان لها وضع خاص - فقد حاول الأباطرة في هذه الفترة التقرب من سلطان القاهرة قدر المستطاع، فيذكر ابن إياس أن الإمبراطور الحبشي (زرء يعقوب) أرسل هدايا تتألف من سبعين جارية وطشت وإبريق من ذهب وسيفٍ مرصعٍ بالذهب، وكان يصحب الهدايا رسولان أحدهما مسلم والآخر مسيحي، أما الإمبراطور (لبنا دنجل) فقد بعث بسفارة إلى مصر بغرض طلب الحج إلى بيت المقدس، وحملت هدية إلى السلطان قدرت بخمسة آلاف من الدنانير – ربما كان ذلك بسبب ظروف الحروب في الحبشة - لذلك وبخ السلطان حامل الهدية لتفاهتها التي لا تتناسب مع الحضرة السلطانية، وذكره بهدية الإمبراطور (ودم أرعد) إلى السلطان (محمد بن

1- Alvarez: Narrative Of The Portuguese Embassy To Abyssinia during the years 1520-1527, p. 67.

قلاوون 698-708هـ/1298-1308م) التي قدرت آنذاك بأكثر من مِئَةِ ألف دينار[1].

كما أشارت المصادر العربية إلى الطريقة التي اتبعها رسل الأحباش عند القيام بالسفر إلى بلاط القاهرة، وذلك إما لإحضار المطران أو التوصية بحسن معاملة الأقباط في مصر، أو للسماح بالسفر إلى بيت المقدس، وهي طلبات في مجملها تدل على احتياج الأحباش دينيًّا إلى مصر، وهي الدولة الوحيدة التي قام الأحباش بالسفر إليها لإحضار المطران، وحرص أباطرة الحبشة على أن تضم هذه السفارات أحد المسلمين؛ ربما للتأكيد على حسن العلاقات بين الطرفين في الحبشة، فقد وصلت سفارة حبشية من قبل (زرء يعقوب) عام 848هـ/ 1444م إلى مصر في عهد السلطان جمقمق (842-857هـ/1438-1453م)[2]. وكان يصحب هذا الوفد تاجر الرقيق عبد الرحمن الذي كان معه أكثر من مئتي رأس منهم[3]. وفي عهد السلطان الغوري (906-922هـ/ 1501-1516م) وصلت يوم الخميس الموافق الخامس عشر من محرم عام 922هـ/ 1516م سفارة حبشية برئاسة أحد النبلاء يصاحبه خمسة من علية القوم وكثير من العامة، وكان هذا السفير مرتديًا قبعة من المخمل الأحمر مرصعة بالذهب تعلوها درة مثمنة كما بدا في ملابس من الحرير الملون، بينما كان بقية الأمراء الذين صحبوه يرتدون ملابس حريرية وعلى رأسهم قبعات طويلة من الحرير، كما تحلوا بأقراط ذهبية كبيرة وبأساور ذهبية، وكان مع السفارة طبلان على جمل يقرعونها أثناء المسير[4].

---

1 - ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص 7.

2 - جرجس فام ميخائيل: السلطان جمقمق وحالة مصر في عصره (1438-1453م) رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعةالقاهرة، 1969م، ص 59-62.

3 - المقريزي: الإلمام،ص7-8، السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1315هـ، ص ص 67-71.

4 - ابن إياس: المصدر السابق، ص 6-7.

أما السفير الحبشي فقد قبَّل الأرض عند بلوغه الساحة السلطانية ثم قبَّل الجميع الأرض ثانية عندما بلغوا أول البساط[1]. ولم يدخل إلى الحضرة السلطانية مع السفير سوى سبعة قبَّلوا الأرض بين يدي السلطان ثم قدَّموا إلى السلطان كتاب إمبراطور الحبشة الذي كان يفيض رقة وتعظيمًا للسلطان، ويرجو فيه السماح لرجال البعثة بالتوجه إلى كنيسة القيامة بالقدس، ثم أقاموا بمصر ثلاثة أيام ارتحلوا بعدها إلى القدس[2].

أما عن إرسال الرسل الأحباش إلى الدول الخارجية الأخرى، فقد أشارت بعض المراجع إلى إرسال بعض السفارات إلى عدد من الدول ومنها الهند والصين وأوربا (فلورنسا - البرتغال – نابولي) خاصة في عصري الإمبراطورين (زرء يعقوب) و(لبنا دنجل)[3]، إلا أن تلك المراجع لم توضح الطريقة المتبعة فى إرسال أو استقبال هذه السفارات من الحبشة أو في تلك الدول، ويؤكد بعض الباحثين بأن سفارة (زرء يعقوب) إلى فلورنسا عام 845هـ/ 1441م لم تكن عن طريق رسل أحباش، بل كانت عن طريق الأب (نيقوديمس Nicodemus)رئيس دير السلطان في القدس[4]، كما كانت سفارة الملكة الأم (إيليني) إلى ملك

---

1 - منى إبراهيم عبد الرحمن: السفارات الأجنبية في مصر على عصر سلاطين المماليك، رسالة ماجستير غير منشورة بآداب القاهرة،1395هـ- 1975م، ص 95.

2 - عرب فقيه: المصدر السابق، ص34-35، ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق د. مراد كامل، القاهرة، 1961م، ص 170، رجب محمد عبد الحليم، العلاقات السياسية، ص ص50-51.

3 - رجب محمد عبد الحليم: العلاقات السياسية بين مسلمي الزيلع ونصارى الحبشة، ص 107-115.

4 - لا تذكر المصادر العربية شيئًا عن زمن إنشاء هذا الدير، وإن كان من المرجح أنه أسس بعد تأسيس الإمارات الصليبية في المشرق، ولكن هذه المصادر تذكره بناءً على دوره في اطلاع الأحباش على مجريات الأمور، وتعريفه لأوروبا بسياسة الحبشة وأوضاعها، يذكر أنه عندما استولى السلطان صلاح الدين الأيوبي على بيت المقدس 1189م، شمل دير الأحباش برعايته، لدرجة أنه عرف باسم (دير السلطان)، وهو الأمر الذي ساعد على كثرة عدد الوافدين الأحباش إليه. انظر فتحي غيث، المرجع السابق، ص118، يوسف

البرتغال بواسطة تاجر أرمني يدعى (ماثيو) Mathieu[1] إلا أنها أرسلت معه أحد النبلاء الأحباش والذي يدعى (يعقوب). وهو ما يوضح كثيرًا من النقاط أهمها هو خوف الأحباش من الدول الخارجية وجهلهم بها وعدم معرفتهم بلغات تلك الدول. كما أنهم لم يكونوا مؤهلين للقيام بهذا الدور[2].

سعد، دير السلطان بالقدس، أسانيد ومستندات تثبت ملكيته للأقباط الأرثوذكس، القاهرة، 1962، ص 18.

كان من أغراض السفارات الحبشية إلى مصر السماح للأحباش التوجه إلى بيت المقدس، إذ فضل الأحباش طريق مصر عند ذهابهم إلى بيت المقدس للحج، خاصة وأن مصر رفعت عنهم ضريبة الخفر المقررة على الحجاج المسيحيين مقابل حراستهم، ولذلك كانت أعدادهم كبيرة عندما يقصدون الحج، فقد أرسل (لبنا دنجل) عام 922هـ، 1516م إلى السلطان الغوري بهذا الغرض. انظر ابن عبد الظاهر، تشريف الأيام، ص 170-173، ابن إياس، بدائع الزهور، ج3، ص7-9، حامد عمار، العلاقات بين مصر والدول الإفريقية في العصور الوسطى، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1996م، ص157، محمد علي بهنساوي، المرجع السابق،ص ص 214-217.

1 - ماثيو الأرمني: هو من أرمن الشرق، اشتغل بالتجارة، ووصف بالأمانة والشرف والإخلاص والذكاء والحرص على العمل، فضلًا عن إتقانه لغات الشرق، وقام بمصالح تجارية عديدة مع الإمبراطور الحبشي والنبلاء الأحباش، لذلك حظي بثقة البلاط الحبشي وعطفه، جاب البلاد من القاهرة والقدس وهرمز وأصفهان وملبار في الهند، كما عمل تحت رئاسة سيد كبير من الأتراك العثمانيين، ولهذا كان لديه مقدرة على المرور في كل ربوع الدولة العثمانية دون أن يتعرض للإهانة أو السلب الذين يتعرض لهما الأجانب الآخرون. ويتضح من ذلك أن الرسالة كان لها خطر كبير عليه، لأنها كانت تحتوي على نوع من التآمر والغدر ضد الدولة العثمانية التي يعد هو من رعاياها. انظر غسان علي محمد الرمال: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، دار العلم للطباعة، جدة، 1406هـ/ 1985م، ص78، كذلك:

Budge: op. cit. p. 331 see also Hollings worsth: op. cit. p.42.

2 - الحيمي: المصدر السابق، ص 28-29، زاهر رياض، كنيسة الإسكندرية في إفريقيا، مطبعة الجيش، القاهرة، الطبعة الأولى، 1962م، ص 138.